من سير
أعلام الشهداء

١٨

أبو نصر

[رحمه الله]

بسم الله الرحمن الرحيم

(أبو نصر)

عودٌ زادَهُ الإحراق طيباً، وأَسَدٌ سُمعَ زئيرُهُ في ساحات الوغى، وتقيٌّ عُرفَ ثباتُـهُ عندَ تلاطُم المحن، يبتسمُ عند البلايا ويضحكُ إذا وطئتهُ بأظفارها، عابدٌ عارفٌ بربّه، شُجاعٌ مغوارٌ لا يعرفُ الخوفَ ولا الخوف يعرفُهُ، لبيبٌ عبقريٌّ حكـيمٌ، قيـاديٌّ إداريٌّ منظّم.

وما زلتُ أذكرُ تلكَ الابتسامة السّاحرة الّتي تعلو وجههُ وهو يدخلُ علـيّ يرتـدي طاقيةً بيضاءَ وعليه معطفٌ طويلٌ يحتضنُ رشّاشه، تنسابُ الكلماتُ من فمه كالمـاء البارد من فم السّقّاء في يوم حارّ، فتقعُ على نفسي وقلبي وَقْعَ السِّـحْر، فينتـابني العجب :أينَ كانَ؟ ومتى ظهرَ نجمهُ؟ ومن هو؟.

هو صيدليّ مصريّ، منْ إحدى قرى صعيد مصر، أنهى دراسـته في كليّـة طـبّ الصّيدلة، وكان قبلها وبعدها يجلسُ القرفصاء أمامَ العلماء يشربُ بشغف من عيون التّوحيد، فيزدادُ نقاوةً ونضارةً وترتسمُ على وجهه الحيرةُ والأسى على حاله قائلاً: **إذن لا بُدّ من الجهاد ولا طريق غيرُهُ، فطواغيتُ الأرض تجبّرت وعنادهُم فـاقَ فرعون وهامان، وكُفْرهُم يبرأُ منه إبليس، وكثيراً مـا كانـت العيـونُ تـدمعُ والنّحيب يعلو على نفسه :أينَ أنا؟ وماذا قدّمتُ؟ وماذا يمكنني أن أفعل؟.**

سافرَ إلى أرض الجزيرة وهناكَ عملَ طبيباً صيدليّاً ثمّ تزوّج من ابنة أَحَد رموز الحركة الجهاديّة قديماً ورُزقَ منها بطفلين، وهو طوالَ هذه الفترة يبحثُ عن الجهاد وأهله، فقد سئمَ جلساتُ الحوار السّاخنة الّتي كانت تُقامُ في بيت عمّه عن الجهاد وعيوب الجماعات، وكرهَ علم الجرح والتّعديل في رموز الأمّة كما ادّعى هـؤلاء، وكلّمـا

جَلَسُوا بدؤوا وانتهوا في نفس الموضوع، جدالٌ عقيمٌ وعقولٌ عشعشَ فيها الضّعف وصارَ شعارُ المرحلة :تكلّم ولا تعمل.

أخذَ إجازة عمل وتركَ زوجتَهُ مع والدها بعدما ودّعته والبكاءُ يملأُ عينها فهو كلّ ما لها، فقد ملأَ فؤادها وهي كذلك، لكنّهما اتّفقا على الجهاد طريقاً وعَرَفَا أن التّضحية لا بُدّ أن تكونَ شعاراً.

فالزّوجُ الوفيّ والولدُ البارّ والوظيفةُ الجيّدة والمسكنُ الجميلُ ما كانوا أبداً من وسائل العُلَى في الجنان، ولن يقيموا للدّين أركاناً، كتمَ صاحبي الزّفرة في قلبه، وجفّفَ الدّمعة في مُقلته، وودّعَ زوجتهُ ووَلَدَاهُ متجلداً وشعاره: **{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}** (طه :من الآية ٨٤).

وحطّ الحبيبُ رحَالَهُ في منطقة (الجبيل)، وعرفَ المُرادَ منه لأوّل وهلة فأخذ يطوفُ على مجاميع المهاجرينَ والأنصار، يُرتّلُ عليهم القرآن ويُلقي دروسَ التّوحيْد مُستخدماً ما أنعمَ اللهُ عليه من حُسْن العبارة ولطيف الإشارة.

وفي صبيحة يوم مُشرق طُرقَ باب بيتي طَرْقاً خفيفاً، فقمتُ وفتحتُ الباب فإذا بشابٌ بالثلاثين من العُمُر، مُعتدلُ الطّول والجسم، سلّمَ عليّ وقال: كيف حالك يا أخي؟ فقلتُ: أهلاً ومرحبّاً تفضّل بالدخول، نعم وجدتني أقول له تفضّل بالدخول كأني أعرفهُ منذُ سنين، قال: سمعتُ بكَ فأردتُ لقاءك، فأجبتُهُ: تسمعُ بالمرء خيراً منْ أنْ تَرَاه.

وبدأَ الرّجلُ بالكلام ووثقَ كلٌّ منّا بصاحبه ففاتحني بالعمل في مصر وأنّه مستعدٌ لأي شيء يُكَلّف به، وطلبَ دورةً في المتفجرات والتّشريك، فوعدتُهُ بالتّشريك ثمّ قلتُ له سأُرتّبُ لك إن شاء الله دورةً في التّصنيع، ففرحَ وقال أنا صيدليّ ولي خبرةٌ مختبريّةٌ جيّدةٌ وأرجو أن أنتفعَ بهذه الدّورة وبدأ فيها ومضت الأيّام واشتدّت رحى

الحرب.

ودَخَلَتْ معركة الفلوجة الثانية وكان موقع قيادة المعركة في نـــزّال أمـــام جـــامع الفردوس، فجاء طلحة الخير - سأعود إليه إن شاء الله - يقولُ ماذا تأمرُ يا شيخي هذه مجموعتي جاهزة - وكان هو مدربّ التّصنيع -، قلتُ ائتني بهم، فجـــاؤوا والله كأنّهم ملائكةٌ من السّماء يكبّرون ويُهلّلون والفرحة تعلوهُم، فعجبتُ مـــن هـــذا الرّكب الطيّب ومن هذه النّفسيّة والهمّة العالية في هذا الوقت العصـــيْب وبـــدأتُ بتوزيعهم، ثلاثةٌ عند هذا التّقاطع وثلاثةٌ في أوّل هذا الشّارع واثنـــان عنـــد هـــذا المدخل.

وبقيَ أبو نصر مع اثنين من رفاقه، فقفز قائلاً لبّيك يا شيخ، قلتُ يا عزيزي تعرف تضرب على الـــ RBG؟، قال: لا، ولكن قل لي كيف يضرب، فعلّمتُهُ على عَجَل وخرجَ مُسرعاً الى نقطته، وما مرّ مغرب ذلكَ اليوم إلا وثلاثةٌ على الأقلّ من رفاقه شهداء.

واشتدّت رحى الحرب وحدثَ اقتحام الجهة الجنوبيّة، وتمّ تقطيع هـــذا الجـــزء إلى أجزاء وانتشر الإخوة في المدينة، كلٌّ مجموعة على حدَة، ولم أعد أرى أبـــا نَصْـــر وبدأتُ أحاول الاتّصال بالإخوة في الأجزاء الأخرى من المدينة وفجأةً رأيتُ أبا نصر قادماً وهو يقول: الحمدُ لله يا شيْخ معي حوالي خمسيْن أخ أمّروني علـــيهم مـــاذا تأمرونَ وما هي الخطط في المرحلة المُقبلة؟؟؟.

فذهبتُ إلى مكانهم فوجدتُ الإخوة يلتفّونَ وهو معهم كالأب مع أبنائه شفقةً ومحبّةً وحرصاً، فإن كانت المحنُ هي الّتي تصنعُ الرّجال والحرب تُبرزُ الأبطال فأشهدُ أنّ أبا نَصْر من هؤلاء، ومن هنا تجلّت مقدرةُ أبي نَصْر القياديّة والإداريّة وبـــدأ الإخـــوة يتوافدون إليه ويكونون تحت إمْرَته، وكلّما مرّ الوقتُ يزداد الجميعُ ثقةً في حُسْـــن

تدبير هذا القائد ويتعجّبون من شجاعته ورباطة جَأْشه.

وقد رأيتُهُ مراراً يُقْحمُ نفسه المهالك لأجل أن يُؤمّن طريقاً لإخوانه، فكان لا يريد إخوانه عبور طريق إلا عَبَرهُ أمامهم مخافة أن يكون هنالك قنّاصٌ يقطع الطريق، ثمّ رأيتُهُ - والله - لا يأكل إلا بعد أن يأكلَ جميع الإخوة، ولا يشربُ إلا بعدهم، فكان كثيراً لا يأكلُ ولا يشربُ لشدّة الحال والضّيق الشّديد الّذي ألمّ بنا، بل والله قد خلع معطفهُ أمام عيني مع شدّة البرد وأعطاهُ أحد الإخوة، ثم خلع حذائه وأعطاهُ لآخر، وهو يفعلُ كلّ ذلك متذرّعاً بأعذار حتّى لا يحرج أو يتحرّج الإخوة.

وهو في كلّ أحواله يبتسمُ ويضحكُ ويحمدُ الله ويشكرُهُ على منّته أن وفّقهُ لهذا الطّريق ولهذا اليوم.

وكان الرّجل يحوطُ إخوانه كما تحوط الدّجاجة فراخها حرصاً ومحبّةً يأخذهم الى حيث يأمنون فيه من عيون العدوّ، ويعبُرُ الأسوار والطّرقات ويذهبُ إلى المناطق البعيدة يستكشفُ هل تصلح لمجيء الإخوة إليها، وهو مع كل ذلك من أشدّ النّاس طاعةً لله، فلو اختلى بنفسه لحظةً لا تراهُ إلا فاتحاً لكتاب الله أو مصليّاً أو مع كتاب من كُتُب العقيدة والّتي كنّا نعثُرُ عليها في بعض البيوت.

ثمّ دارت المعركةُ واشتدّت رحاها وانحازَ الإخوة إلى أحد البيوت وجاءَ الأمريكان وداهموا هذا البيت وكانَ في هذا البيت إخوة القائد عمر حديد مع نخبة من المهاجرين والأنصار، فصعدَ عمر حديد ليُدافعَ عن إخوانه حتّى ينحازوا فضربهُ قنّاص، ثمّ صعد أبو نَصْر لكنّه أيضاً أُصيب ولم يُعْلَم أكان شهيداً أم لا، ثمّ عُرفَ خَبَرُهُ بعد ذلك بعدما وجدَ الإخوة هويّته ونظّارته عندَ مَنْ دَفَنَه فبكينا وبكينا، لكنّ البُكاء لا يُرجعُ ميّتاً، ولو طلبنا منه الرّجوع ما قَبلَ لأنّه حيّ، اللهمّ إلا ليفعلَ ما فعلَ ويعود إلى قتاله لما يجد من كرامة الشّهداء.

اللهمّ احفظ زوجته وولداه من كلّ مكروه وسوء، وبلّغهم أنّه استُشهد فالرّجـــلُ لا يعرفهُ أحد، ومن هنا هذه دعوةٌ لإخواني بجزيرة العرب إن كانَ أحدٌ منهم يعـــرفُ أخاً مصْريّاً صيدليّاً متزوج من ابنة أحد قدماء المجاهدين المصـــريين وتركهـــا قبـــل أحداث الفلّوجة بثلاثة أشهر، أن بلّغوها أنّ زوجها استُشهد وحتّى لا يكون الرّجل في عُرْف المفقود، والله في عون الجميع.

وكتبه:

أبو إسماعيل المهاجر